

أثر الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية على الحياة العامة بالمشرق: قراءة في رحلتي ابن يونة وابن بطوطة مع دراسة مقارنة مع المصادر المشرقية

نواف عبد العزيز الجحمة

الأستاذ المشارك بكلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي،

الكويت

(قُدِّم للنشر في ٢٩/١/١٤٤٠هـ، وقُبِّل للنشر في ٣٠/٦/١٤٤٠هـ)

الكلمات المفتاحية: الأزمات والكوارث، رحلة ابن يونة، رحلة ابن بطوطة.

ملخص البحث: لقد شهد المشرق العربي في الفترة الوسيطة كغيره من الأقاليم الجغرافية الأخرى أزمات وكوارث عديدة، عُرفت المنطقة على إثرها سلسلة من التحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة في مسارها التاريخي، فكانت أزمنا النشاط الزلزالي والوباء من أشد البلايا وقعا على هذا المجتمع، خصوصا وأنها قد أفرزت واقعا مريرا على إنسان المشرق معايشته في تلك الفترة. ولا تزال مثل هذه الأزمات والكوارث بحاجة ماسة إلى دراسة عميقة، علما بأن التأريخ للمشرق يستوجب الإلمام بكل حيثياته، دون إهمال أي جزء منها، ومن هنا جاءت الالتفاتة العلمية لإمارة اللثام عن فترات عصيبة مرت بها المنطقة في حقب زمنية مختلفة من العصر الوسيط. ولهذا فإن أهمية دراسة موضوع: "أثر الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية على الحياة العامة بالمشرق: قراءة في رحلتي ابن يونة وابن بطوطة مع دراسة مقارنة مع المصادر المشرقية" تكمن في محاولة إزالة العتمة عن مراحل صعبة عاشها هذا الفضاء الجغرافي إبان تعرضه لمثل هذه الأزمات، والتي لها من دون شك آثار سلبية على كافة المستويات المختلفة الاقتصادي والاجتماعي والديمقراطي، ولها انعكاسات على الأفكار والذهنيات والرؤى. ومن هذا المنطلق، وفي هذا الإطار الأخير جاء اختيارنا لعنوان هذا الموضوع الذي يتلخص هدفه الأساس في تبين نوع الصورة التي كوّنها الرحالين المعروفين وهما: ابن يونة التيطلي: (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م)، وابن بطوطة الطنجي: (٧٠٣-٧٧٠هـ/١٣٠٣-١٣٦٨م). ولأجل تحقيق هذا الهدف، حرصنا على تتبع ما أورده في مصنفاتهم من الأخبار والإشارات التي تحيل إما صراحة أو ضمنا على هذه الصورة، ثم انتقلنا ثانية إلى تحليلها ومناقشتها مبتغين في نهاية المطاف الوقوف على أهم النتائج والخلاصات التي انتهت إليها البحث.

The Impact of Economic Crises and Natural Disasters on Public Life in the Mashreq Reading in Ibn Youna and Ibn Battuta's Journeys with a Comparative Study with Oriental Sources

Nawaf Abdul Aziz Aljahmah

Associate Professor, College of Basic Education, Public Authority for Applied Education, Kuwait

(Received 29/1/1440; Accepted for publication 30/6/1440H)

Keywords: Crises and Crises, Ibn Youna Journey, Ibn Battuta Journey.

Abstract: In the Middle East, as in other geographical regions, there were many crises and disasters. The region was marked by a series of major transformations and decisive changes in its historical course. The crises of seismic activity and the epidemic were among the worst afflictions on this society, A man of the Orient lived in that period.

Such crises and disasters are still in urgent need of deep study. The history of the Mashreq requires knowledge of all its aspects, without neglecting any part of it. Hence, scientific attention has been given to uncovering the difficult periods experienced by the region in different periods of the Middle Ages.

Therefore, the importance of studying the subject: "The impact of crises and disasters in public life in the Orient: a reading in the journeys of Ibn Yonah and Ibn Battuta" is to try to remove darkness from the difficult stages experienced by this geographical space when exposed to such crises which undoubtedly have negative effects at all levels On the economic, social and demographic side, and has implications for ideas, ideologies and visions.

In this context, we have chosen the title of this topic, whose main purpose is to identify the type of image that is known as Rahalin, the son of Jonah al-Taylili (561-569h / 1165-1173) and Ibn Batuta al-Tanji (703-707 / 1303). -1368 AD).

In order to achieve this goal, we have been keen to follow the news and references in their work that refer either explicitly or implicitly to this picture, and then moved back to the analysis and discussion, ultimately go to the most important conclusions and conclusions reached by the research.

المقدمة

لقد شهد المشرق العربي في الفترة الوسيطة كغيره من الأقاليم الجغرافية الأخرى أزمات وكوارث عديدة، عرفت المنطقة على إثرها سلسلة من التحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة في مسارها التاريخي، فكانت أزمته النشاط الزلزالي والوباء من أشد البلاء وقعا على هذا المجتمع، لاسيما وأنها أفرزت واقعا مريرا على إنسان المشرق ومعاشته في تلك الفترة.

ولا تزال مثل هذه الأزمات والكوارث بحاجة ماسة إلى دراسة عميقة، علما بأن التأريخ للمشرق يستوجب الإلمام بكل حيثياته، دون إهمال أي جزء منها، ومن هنا جاءت الالتفاتة العلمية لإمطة اللثام عن فترات عصيبة مرت بها المنطقة في حقب زمنية مختلفة من العصر الوسيط.

ولهذا فإن أهمية دراسة موضوع: "أثر الأزمات والكوارث في الحياة العامة بالمشرق: قراءة في رحلتي ابن يونة وابن بطوطة" تكمن في محاولة إزالة العتمة عن مراحل صعبة عاشها هذا الفضاء الجغرافي إبان تعرضه لمثل هذه الأزمات، والتي لها من دون شك آثار سلبية على كافة المستويات المختلفة الاقتصادي والاجتماعي والديمقراطي، ولها انعكاسات على الأفكار والذهنيات والرؤى.

ومن هذا المنطلق، وفي هذا الإطار الأخير جاء اختيارنا لعنوان هذا الموضوع الذي يتلخص هدفه

الأساس في تبين نوع الصورة التي كونها الرحلان المعروفان وهما بنيامين بن يونة التطيلي الأندلسي (٥٦١-٥٦٩هـ/١١٦٥-١١٧٣م)^(١) وابن بطوطة اللواتي الطنجي: (٧٠٣-٧٧٩هـ/١٣٠٣-١٣٧٧م).^(٢)

(١) لم يعرف الكثير عن الرحالة بنيامين التطيلي، وهو رحالة يهودي من الأندلس، ولد بتطيلة حوالي (٥٢٤هـ/١١٣٠م)، وجل ما يعرف عنه مستقى من رحلته هذه أو من مقدمة قصيرة، وصفها أحد نساخ الرحلة لعله كان قريب العهد من زمانه، وهذا نص هذه المقدمة: "هذا كتاب رحلة الربى بنيامين بن يونة التطيلي النباري الذي جاب المدن العديدة البعيدة، وسجل ما شاهده في الأمصار التي مر بها عياناً أو ما نقله عن الثقة ذوي الأمانة المعروفين لدى يهود أسبانيا، وقد أورد أسماء مشاهير العلماء والرؤساء اليهود في الأماكن التي زارها، وعاد بمعلوماته هذه إلى قشتالة سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م). انظر: (التطيلي، ١٩٩٦، ص ٧؛ شحلان، ٢٠٠٣م، ص ١٧٧-١٧٨).

(٢) هو رحالة كبير، طاف في كثير من أقطار الأرض، وهو من البربر ولد سنة ٧٠٣هـ، والدولة المرينية في عنفوان القوى، وهو سليل أسرة علمية ظهر فيها القضاة ومشايخ العلم على ما أخبر هو عنها في الرحلة، لما خيره ملك الهند في وظائف الوزارة والكتابة والإمارة والتدريس، قام بعدة رحلات إلى البلدان الأفريقية والآسيوية، بالإضافة إلى البلدان العربية وبلغ تطوافه الهند والصين، حج مكة المكرمة، وزار المدينة المنورة، والمشاهد المقدسة كالقدس والخليل. وسجلت رحلاته هذه وأهمها الرحلة الأولى =

(٥٥٢هـ-١١٥٧م)، إلى (٥٦٥هـ-١١٧٠م)، وقد شملت تلك الزلازل بتأثيرها مناطق متسعة الأجزاء الشمالية من الشام والمناطق الساحلية، ويلاحظ أنّ تلك المنطقة شهدت تغيرات طبوغرافية وديموجرافية، التي كانت تحل بتلك المنطقة ذات الموقع المهم، والتي شهدت الصراع بشأنها في صورة الحروب الصليبية التي غزت المنطقة منذ أواخر القرن الخامس الهجري (١١م).

وكل ذلك من شأنه أن يوضح العلاقة بين الظواهر الجغرافية وفعاليتها التاريخية على نحو جعل دراستها أمراً ضرورياً وملحاً، ولا ريب في أنّ ذلك العصر شهد في أحيان كثيرة، كيف وجهت الجغرافية التاريخ بسرعة وفعالية.

وتجدر الإشارة إلى عدم وجود بيانات وعلامات في مدونات الرحالة الأندلسيين والمغاربة تتحدث بإمعان عن ظاهرة الزلازل^(١) وانعكاسها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المشرق العربي، إلا ما ورد في رحلة بنيامين التطيلي في إشارته إلى الزلازل التي أصابت بلاد

(٢) الزلزلة في اللغة العربية تحريك الشيء بشدة وعنف، وقد ورد لفظ الزلزلة بأشكال وصور مختلفة في القرآن، فهناك "زلزلت" و"زلزها كما في سورة الزلزلة رقم (٩٩)، آية (١)، وترد "زلزالاً" كما في صورة الأحزاب رقم (٣٣) آية (١١) وكذلك "زلزلوا" على نحو ما نجد في سورة البقرة رقم (٢) آية (١١)، وأيضاً "الزلزلة" في سورة الحج رقم (٢٢)، آية (١).

ولأجل تحقيق هذا الهدف، حرصنا على تتبع ما أوردها في مصنفاتها من الأخبار والإشارات التي تحيل إما صراحة أو ضمناً إلى هذه الصورة، ثم انتقلنا ثانية إلى تحليلها ومناقشتها مبتغين في نهاية المطاف الوقوف على أهم النتائج والخلاصات التي انتهى إليها البحث.

١- النشاط الزلزالي: (٥٥٢هـ-١١٥٧م)، (٥٦٥هـ-١١٧٠م):

تمثل رحلة الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي مكانة متميزة في إلقاء الضوء على الزلازل التي مُنيت بها مملكة بيت المقدس الصليبية^(١) خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري (١٢م)، والتي أدّت إلى إلحاق خسائر بشرية ومادية جسيمة، ونعني بها المرحلة من

= التي بدأها من مسقط رأسه طنجة، التي قام بها سنة ٧٢٥هـ- انظر (ابن بطوطة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م؛ كنون، ١٩٩٦؛ كراتشكو فسكي ١٩٦٣م، ص ٢٩٨).

(١) مملكة بيت المقدس (باللاتينية Regnum Hierosolymitanum: رينومي هيروساليم يتانم)، هي مملكة كاثوليكية أُنشئت في بلاد الشام عام ٤٩٢هـ- ١٠٩٩ بعد الحملة الصليبية الأولى، وشكّلت أكبر ممالك الصليبيين في الشرق وقاعدة عملياتهم، واستمرت في الوجود زهاء قرنين من الزمن، حتى تمّ فتح جميع أراضيها في عثليث وعكا من قبل المماليك عام ٦٨٩هـ- ١٢٩١.

انظر: (برجاوي، ١٩٨٤م، ص ١٧٦-١٩٠؛ توفيق، ١٩٥٨م، ص ٦٢-٩٩؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٥٣).

وحمص وحلب ودمشق، في هذا السياق يذكر الرحالة بنيامين أن مدينة حماة أصابتها هزة أرضية عنيفة منذ عهد قريب أهلكت خمسة عشر ألفاً من سكانها بيوم واحد، فلم يبق منهم إلا سبعون نفساً. (التطيلي، ١٩٩٦، ص ١٢٠).

نلاحظ أن حجم الخسائر البشرية والمادية كان كبيراً إلى درجة جعلت أحد المصادر التاريخية يوصف الزلزال نفسه بأنه "زلزال حماة" (Ruhricht(R.), 1889.P. 290, note 6)، أما ابن القلانسي فيصف آثار هذا الزلزال فيقول: "انهدمت حماة وقلعتها، وسائر دورها، ومنازلها على أهلها من الشيوخ والشباب، والأطفال والنسوان، وهم العدد الكبير، والجسم الغفير، بحيث لم يسلم منها إلا القليل اليسير" (ابن القلانسي، ١٩٨٣م، ص ٥٢٦).

الجدير بالذكر أننا لا نجد تحديداً معيناً لعدد أولئك الذين صرعتهم الهزات الزلزالية في حماة، إلا لدى الرحالة بنيامين الذي أوضح بصراحة أنه لم يتبق من سكانها أحياء سوى سبعين نفساً على حدّ قوله.

ومن الممكن الاعتقاد أن هناك مبالغة من جانب ذلك الرحالة في تحديد كثرة أعداد الموتى، وقلة الناجين في مدينة أقرت المصادر التاريخية أنها تضم كثافة سكانية كبيرة (ابن القلانسي، ١٩٨٣م، ص ٥٢٦)، ولكن يبقى ذلك دليلاً واضحاً على بشاعة ما أحدثته تلك الهزات الزلزالية من آثار تدميرية.

الشام وما خلفت من آثار مدمرة على المستويين العمراني والإنساني، خصوصاً في مدينتي حماة^(١) وطرابلس^(٢)، فهو يقدم لنا تحديداً معيناً لعدد الذين ماتوا من جرائه، هذا وإن كانت الأرقام تحمل طابع المبالغة إلا أنها تُظهر لنا طبيعة الدمار والهلاك حينذاك.

والواقع أن الزلازل التي وقعت في عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، تعد بحق من أكبر ما حل ببلاد الشام من صور التخريب^(٣) ومن الأهمية بمكان تناول الخسائر الناجمة عن الزلازل ذلك العام، ويمكن رصد ذلك من خلال عدد من المدن الشامية ونعني بها حماة

(١) كانت حماة إمارة مستقلة تحت سيادة مصر، محكومة من أحد فروع الأسرة الأيوبية التي كان يمثلها في تلك الفترة المؤرخ أبو الفداء إسماعيل بن محمود بن عمر بن شاهناه ابن أيوب الملك المؤيد المعروف بصاحب حماه، وهو "صاحب المختصر في أخبار البشر". انظر: (الزركلي، ج ١، ص ٣١٧).

(٢) بعد أن ظلت طرابلس طوال مائة وثمانين سنة بيد الصليبيين، أسترجمت عام ٧٩١هـ-١٢٨٩م من طرف العاهل المصري الملك الأشرف خليل ٧٩٢-٧٩٥هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م أخي الملك الناصر. انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ص ٢٦٥، هامش ٦١).

(٣) عن الهزات الزلزالية في عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م) في بلاد الشام وآثارها انظر: (ابن القلانسي، ١٩٨٣، ص ٥٢٧-٥٢٨؛ ابن الأثير، د. ت، ج ١١، ص ٨٨؛ أبو شامة، ١٩٦٢، ج ١، ق ١، ص ٢٦٢، ٢٦٩؛ ابن واصل، ١٩٥٣، ص ١٢٨؛ ابن شاعر الكتبي، ١٩٥١، ج ١، ص ١٧٨؛ ابن تغري بردي، ج ٥، ص ٣٢٥).

ج ٢، ص ٣٠٠)، وهذا يعود بالطبع إلى الجهود العمرانية للدولة النورية والدولة الأيوبية. أمّا زلزال عام (١١٧٠هـ/١١٧٠)، فكان من أكثر الزلازل التي مُنيت بها بلاد الشام من ناحية حجم الدمار، الذي نجم عنه في مختلف نواحي بلاد الشام إلى درجة أنّ الأرض "ماجت كالبحر إذا عصفت به الرياح العنيفة" (الفتح البنداري، ١٩٧٩، ص ٤٧)، فهدمت العديد من المنازل والقلاع وامتد تأثيره إلى مدن تتبع المناطق الإسلامية مثل: حلب،^(١) وحماة، وحمص^(٢).

(٢) حلب مدينة عظيمة طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء. قال الزجاجي: سميت حلب؛ لأن إبراهيم عليه السلام - كان يجلب فيها غنمه في الجمعات ويتصدق به فيقول الفقراء حلب حلب فُسّمي به. ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان (٢/٢٨٢). يتحدث ابن بطوطة عن زيارته لمدينة حلب بقوله: "ثم سرنا إلى مدينة حلب المدينة الكبرى والقاعدة العظمى. قال أبو حسين ابن جبير في وصفها: قدرها خطير، وذكرها في كل زمان يطير، خطابها من الملوك كثير، ومحلها من النفوس أثير، فكم حاجت من كفاح، وسل عليها من بيض الصفاح، ولها قلعة شهيرة الامتناع.. أين أمراؤها الحمدانيون وشعراؤها؟ فني جميعهم ولم يبق إلا بناؤها..". انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٧٢).

(٣) يصف ابن جبير مدينة حمص بأنها "لا ماء ولا شجر، ولا ظل ولا ثمر، فهي تشكي ظمأها وتستقي على البعد ماءها فيجلب لها من نهريها العاصي وهو منها بنحو =

ويلاحظ أنه جرى تعمير المدينة تعميراً واسع النطاق، سواء بتشييد المنازل أو بحدوث هجرات سكانية إليها من المناطق المجاورة التي لم تحل بها الخسائر البشرية نفسها - على نحو أعاد إليها خلال الثلاثين عاماً التالية ازدهارها السابق، على حدوث تلك الهزات الزلزالية، وقد أشار ابن قاضي شهبة إلى حجم الدور الكبير الذي أدته الدولة النورية من أجل تعمير المناطق المنكوبة (ابن قاضي شهبة، ١٩٧١م، ص ١٥٣)، ومما يدعم هذا التصور أنّ الرحالة ابن جبير الأندلسي (٥٤٠-٦١٤هـ/١١٤٥-١٢١٧م)^(١) في رحلته التي زار فيها مدينة حماة، بعد ثلاثين عاماً من حدوث الزلزال المدمر، لم يشر إليه البتة، بل تحدث عنها بوصفها مدينة مزدهرة من أوجه عديدة (ابن جبير، د.ت، ص ١٩٧ - ١٩٨). كما يؤكد الجغرافي ياقوت الحموي على وصفها بالازدهار التجاري، وتوافر الأسواق التجارية بها (ياقوت الحموي، د.ت،

(١) بلنسي شاطبي، عني بالأدب والحديث، وتقدم في صناعة النثر والنظم، رحل إلى المشرق ثلاث مرات، وزار في الأولى سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) مصر والشام والعراق والحجاز، وكتب رحلته هذه، وتعد من أمتع الرحلات الجغرافية العربية وأغناها بالملاحظات الاجتماعية والعلمية. نشر الرحلة رايت في لندن عام ١٨٥٢م، وأعاد نشرها دغويه سنة ١٩٠٧م، ثم نشرت في بيروت. انظر: (ابن الخطيب، ١٩٧٤م، ص ٢٣٣ - ٢٣٤؛ كراتشكوفسكي، ص ٣٣١).

وبعلبك،^(٤) أضف إلى ذلك أن الملك العادل نور الدين^(٥) عاين ما أصاب المدن الشامية،^(٦) فحزن عليها،

وشيزر،^(٧) وبعرين،^(٨) ودمشق^(٩).

(٣) يحدثنا ابن بطوطة في وصفها، وقد وصل إلى دمشق في تاسع رمضان ٧٢٦هـ-١٣٢٦م. يقول ما نصه " ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسنا وتتقدمها جمالا وكل وصف وإن طال، فهو قاصر عن محاسنها ولا أبداع مما قاله ابن جبير في ذكرها: وأما دمشق فهي جنة المشرق ومطلع نورها المشرق وخاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها وعروس المدن التي اجتليناها. قد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسية من البساتين. وحلت موضع الحسن بالمكان المكين.. وشرفت بأن أوى المسيح عليه السلام، وأمه منها إلى ربوة ذات قرار ومعين، ظل ظليل، وماء سلسيل. تنساب مذانبه إنسياب الأرقام بكل سبيل. ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل تتبرح لناظريها بمجتلى صقيل وتنادينا هلموا الى معرس للحسن ومقيل.. " انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٩٧-٢٩٨).

(٤) بعلمك او (HELOPOLLIS) القديمة يقول عنها القلقشندي ٨٢١هـ-١٤١٨م: إنها مدينة مختصرة لدمشق تحتوي على كل جمالها، وإذا كان ابن بطوطة لم يتحدث عن معالم بعلمك التي تحدث عنها آخرون فإنه يتحدث عن الثياب المنسوب إليها والصناعات الخشبية المتميزة فيها. انظر: (القلقشندي، ١٩١٤-١٩١٩م؛ الهروي، ٢٠١٢م، ص ٨٥).

(٥) هو الملك العادل أبو القاسم نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي (٥١١-٥٦٩هـ)، (١١١٨-١١٧٤م)، وهو الابن الثاني لعلماد الدين زنكي. حكم حلب بعد وفاه =

= مسافة الميل.."، وهو الوصف الذي يعارض وصف ابن بطوطة الذي يشاركه في معلوماته المؤرخ المعاصر أبو الفداء.. انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٦٦، هامش ٧٢).

(١) شيزر بلدة تقع على نهر العاصي شمال غرب مدينة حماة في سوريا. من أهم معالمها قلعة شيزر الأثرية وتتداخل بيوت القرية مع قلعتها الأثرية من الجانب الغربي للقلعة. تاريخ شيزر حافل بالأحداث منذ القدم وكانت شيزر قديماً من المدن السورية المهمة، وكان يطلق اسم (سيزار وسنزار) وسُميت في العهد السلوقي (لاريسا)، توجد بها الكثير من الآثار من أهمها قلعة شيزر الأثرية التي بنيت في القرن الرابع قبل الميلاد، وشهدت أحداثاً تاريخية مهمة وفتحها العرب عام ١٧ هجري بقيادة أبو عبيدة بن الجراح ومن أشهر أمراء وحكام شيزر أسامة بن منقذ من عائلة بنو منقذ الذين جعلوا شيزر حامية مهمة في منطقة نهر العاصي. انظر: (الشيزري، ٢٠٠٩، ص ٣٩، ١٥٧، ١٦٥، ١٦٧، ١٩٥).

(٢) قلعة بعرين، وهي قرية من مدينة حماة، وتُعد من أمنع معاقل الإفرنج ورأس حربة صليبية متقدمة في الداخل، تقع على الطريق الواصل بين مصيف وحمص، وتتربع على قمة جبل يشرف على سهلين خصيين من الشمال والجنوب، وما يبدو من عمارة دفاعاتها يدل على أنها قد بنيت على أساس قلعة بيزنطية من القرن العاشر الميلادي، ولكن بناءها الأول ربما كان أقدم؛ لأن هناك دلائل قوية من الفترة الرومانية في محيط القلعة ومن الصعب معرفة ذلك بسبب الحالة الخربة لعمارة القلعة الآن. انظر: (ابن الأثير، ١٩٢٩م، ص ٢٩٨).

الإنشاء بمثابة المصدر الرسمي للتعرف على ما حل ببلاد الشام من جراء زلزال عام ٥٦٥هـ/١١٧٠م. كذلك امتدت آثار ذلك الزلزال إلى عدد من المدن الشامية، لا سيما الساحلية منها وهي: أنطاكية^(٤) وطرابلس، وصور^(٥) وجبله^(٦) واللاذقية^(٧)، ومما يجدر الإشارة إليه أن زلزال أنطاكية وطرابلس كان مروعاً، نظراً لحجم الدمار الذي خلفه فيها على نحو فاق المدن الصليبية الأخرى (William of Jyre, 1943, p.370)، والواقع أن الرحالة بنيامين لم يشر إلى زلزال

وأعظم المصيبة التي صارت إليها، وكتب إلى الخليفة الإمام المستنجد بالله العباسي^(٨) يذكر له أمر الزلزلة ونكايتها في حلب وبلاد الشام، بإنشاء العماد الكاتب^(٩)، وتعد هذه الرسالة الصادرة عن ديوان

= والده، وقام بتوسيع إمارته بشكل تدريجي كما ورث عن أبيه مشروع محاربة الصليبيين واسترداد بيت المقدس.. شملت إمارته معظم الشام وتصدى للحملة الصليبية الثانية، ثم قام بضم مصر لإمارته وإسقاط الفاطميين والخطبة للخليفة العباسي في مصر، بعد أن أوقفها الفاطميون طويلاً وأوقف مذهبهم. وبذلك مهد الطريق أمام صلاح الدين الأيوبي لمحاربة الصليبيين وفتح القدس بعد أن توحدت مصر والشام في دولة واحدة. انظر: (المقدسي، ١٩٩١م، ص ٣٨٦؛ ابن خلكان، ١٩٦٨م، ص ١٨٤؛ الصلابي، ٢٠٠٨م؛ مؤنس، ١٩٨٧م).

(١) عن تأثير الزلازل في هذه المدن انظر: (ابن الأثير، ج ١١، ص ١٤٣؛ أبو شامة، ص ١٨٤؛ المقرئ، ١٩٦٧م، ج ٣، ص ٣١٨؛ مؤنس عوض، ص ٩٥-١٠٢).

(٢) أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله، بويغ بالخلافة عقب وفاة والده سنة ٥٥٥هـ، واستمر خليفة إلى أن مات في ربيع الآخر سنة ٥٦٦هـ، فكانت خلافته ١١ سنة وشهراً وأسبوعاً. إن ما يرويه بنيامين عن الخليفة المستنجد بالله من صفات يدل على ما كان له من مقام سام في قلوب يهود بغداد. انظر: (التطيلي، ص ١٣٢؛ الخضري بك، ص ٤٦٤).

(٣) انظر نص الرسالة: (ابن الفرات، ١٩٧٦م، ج ٤/١، ص ٩٦-٩٧؛ حمادة، ١٩٨٤م، ص ٢١٢، ٢١٣).

(٤) أنطاكية كانت مقراً للمارة الأنطاكية ٤٩١هـ-١٠٩٨م، إلى أن فتحها بيبرس عام ٥٦٦هـ-١٢٦٨م. انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٨٤، هامش ١١٥).

(٥) صور (TYR) مدينة حسنة حصينة يحفها البحر من ثلاث جهات، يقول ابن شداد في كتابه الأعلاق الخطيرة: وقد هدمت صور في السنة نفسها التي هدمت فيها عكا ٦٩٠هـ-١٢٩١م حتى لا يطمع فيها الإفرنج ثانية. انظر: (ابن شداد، ص ١٦٢-١٦٣ وما بعده).

(٦) مدينة جبله هي ذات أنهار مطردة وأشجار، والبحر على نحو ميل منها وبها قبر الولي الشهير إبراهيم بن أدهم، استرجعها السلطان صلاح الدين عام ٥٨٣هـ-١١٨٨م. حول جبله وأهميتها. انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٩٠).

(٧) اللاذقية مدينة مهمة منذ فجر تاريخها، وقد هدمها السلطان صلاح الدين عندما استرجع البلاد المحتلة ٥٨٣هـ-١١٨٨م حتى يقطع آمال الصليبيين فيها! انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٩٢، هامش ١٤٣).

(عوض، ١٩٩٢م، ص ١٠٠). ومع ذلك ينبغي أن نقرر أن زلزال عام (٥٦٥هـ/١١٧٠م)، قد خلف خسائر بشرية في صفوف الصليبيين، وربما يعزى ذلك إلى حضور أعداد غفيرة من الحجاج اليهود والنصارى من الغرب الأوروبي من أجل الحج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين، مما زاد في الكثافة البشرية، كما كان استقرار الحركة الصليبية في المنطقة سبباً ثانياً في زيادة أعداد الصليبيين في المنطقة، مما جعل المصاب أكبر وتأثيره أشد على المملكة الصليبية؛ حيث عانت هذه المملكة من مشكلة نقص العنصر البشري على مدى الحملات الصليبية ضد المسلمين.

وقد وصف العماد الكاتب في عدد من كتبه وقصائده منها قصيدة نورية يذكر ما نال بلاد الفرنج من الزلزلة، هذا مطلعها (ابن الفرات، ١٩٧٦م، م ٤ (١)، ص ٩٤-٩٨):

جَلَّ رُزْءُ الْفَرَنْجِ فَاسْتَبَدُّوا مِنْهُ
بَلْبَسِ الْحَدِيدِ لَيْسَ الْحَدَادُ
فَرَّقُ الرِّغْبِ مِنْهُ فِي أَنْفُسِ الْكُفِّ
سَارِبِينَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ
سَطْوَةٌ زَلَزَلَتْ بِسُكَّانِهَا الْأَرْضَ
ضِيَّ وَهَدَتْ قَوَاعِدُ الْأَطْوَادِ

(٥٦٥هـ/١١٧٠م)، إلا عندما حل بمدينة طرابلس على نحو خاص، إذ يذكر أنه أصابها زلزال شديد، أدَّى إلى هلاك خلق كثير من اليهود وغيرهم، انهارت عليهم الدور والحيطان فطمرتهم. وبلغ عدد من هلك بهذا الزلزال في فلسطين وحدها يزيد على العشرين ألفاً ونيف (التطيلي، ١٩٩٦، ص ٨٨).

بالرغم من أن بنيامين لم يذكر سنة الزلزال في نصه، فإنَّ المقصود به على الأرجح هو زلزال (٥٦٥هـ/١١٧٠م)، وليس زلزال عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، كما تصور مترجم الرحلة إلى العربية عزرا حداد في تعليقه (التطيلي، ١٩٩٦، ص ٨٨، تعليق ٣)، وما يعلل ذلك أنَّ التاريخ الأخير يعد مبكراً عن التوقيت الزمني لرحلة بنيامين إلى بلاد الشام، فرحلته تمت خلال المرحلة من (٥٦١-٥٦٩هـ)، (١١٦٥-١١٧٣م)، ومما يدعم هذا التصور ما ذكره الرحالة في وصفه، إذ يقول: "وقد أصاب طرابلس قبل مدة وجيزة زلزال شديد" (التطيلي، ١٩٩٦، ص ٨٨). هذا مع العلم أن المصادر الإسلامية والصليبية^(١) لا تذكر إصابة طرابلس في عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، لكل هذه الخسائر البشرية والمادية الجسيمة، ومن ثمَّ فقد كان تأثيره في المدن الإسلامية أكبر بكثير من تأثيره في المدن الصليبية

(١) عن مصادر تاريخ الزلازل في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي انظر: (عوض، ١٩٩٢م، (١٢٠).

بصفة عامة، ألحقت الزلازل أضراراً جسيمة بتلك البنية البشرية، ولا ريب في أن الأرقام المرتفعة للخسائر البشرية التي أوردتها بنيامين مبالغ فيها، إذ إنها لم تكن إحصائية، إلا أنها تُظهر فداحة تلك الخسائر البشرية، ويمكن القول أن مدن مثل حماة وطرابلس كانت من أكثر المدن الإسلامية والصليبية في فقدانها المفاجئ لأعداد كبيرة من السكان من جراء تلك الهزات الزلزالية.

ومما ذكره بنيامين عن حصون الدعوة الخاصة بالإسماعيلية المعروفة بالحشاشين^(١) نستشف منه أنه قد أصابها الهدم والتخريب، ولعل هذه تكون من أوائل الإشارات الدالة على أن العناصر الإسماعيلية اعتبرت هي الأخرى قد مسها الضر من جراء الزلزال وليست العناصر اليهودية فقط، مع ملاحظة أن إصابة إمارة طرابلس بالزلزال الشديد كان يعني ضمناً أن قلاع الدعوة أضررت هي الأخرى.

٢- المجاعة^(٢) وظاهرة الغلاء: (٧٤٨هـ-١٣٤٧م)

ربما تُكوّن الأزمات السياسية في أغلب الأحيان سبباً رئيساً في حدوث اختلال في التوازن الاقتصادي، وارتفاع الأسعار، والتهافت على شراء الأقوات، كما

(٢) المجاعة في اللغة هي مفعلةٌ من الجُوع، ومن الفعل جاع يجوع، فهو جائع وجوعان، والجوع نقيض الشبع، وهو اسم للمخمصة وهي مصدر مثل: المغضبة والمعتبة: وهي خلاء البطن من الطعام جوعاً، والمسغبة أيضاً تعني المجاعة، ويطلق على المجاعة أيضاً مصطلح الألبّة: وهي مأخوذة من التألب والتجمّع؛ لأن الناس يجتمعون في المجاعة ويخرجون أرسالاً...، وقد أُطلق على السنة التي تحدث فيها المجاعة تسميات عديدة، كالسنة الغبراء وسنة لزبة: أي شديدة، وهي السنة التي يكون فيها القحط، واللزوب: القحط. انظر: (ابن منظور، ١٩٦٨م، ١/٣٦٨، ٢/٤٣١ - ٤٣٢؛ الفيروز آبادي، د.ت، ١/٨٢، ٣/١٥؛ الجوهري، ١٩٨٤م، ١/١٤٧، ٣/١٢٠١).

(١) طائفة شيعية متطرفة انفصلت عن العبيدين، وكان المؤسس لها في شمال الفرس حسن الصباح (ت ٥١٨هـ- ١١٢٤م)، عُرف أعضاؤها تحت اسم الفدائيين أو (الفداوية)، بوصفهم يقدمون حياتهم فداءً، وكذلك اسم الحشاشين نسبة إلى الحشيش الذي يتناوله قبل أن يقوموا بعملياتهم الحربية - يحدثنا عنهم ابن بطوطة بإسهاب ويذكر بعض حصونهم منها: حصن القصير، وحصن القدموس، وحصن المنيقة، وحصن العليقة، وحصن مصياف، وحصن الكهف، إلى أن يقول: "وهذه الحصون لطائفة يقال لها: الإسماعيلية ويقال لهم: الفداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم، وهم سهام الملك الناصر، بهم يصيب من يعدو عنه من أعدائه بالعراق بالطرق وغيرهم، وهم مرتبات، وإذا أراد السلطان أن يبعث أحدهم إلى اغتيال عدو له أعطاه ديتة، فإن سلم بعد تأتي ما يراد منه فهي له، وإن أصيب فهي لولده، وهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا إلى قتله". انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٨٦، تعليق ١٢٧).

وانعدام الأمان في الطرقات العامة بين المدن والأقاليم نتيجة تعدد حوادث النهب والسلب للمسافرين على يد قطاع الطرق من الظواهر الاجتماعية، التي كان ينتج عنها الغلاء، خصوصاً إذا كانت البضائع المنهوبة من المواد الغذائية شديدة الاستهلاك للعامة كالقمح واللحوم والبقول والغلل (الحجبي، ١٩٩٤م، ص ٢٠٣). وقد ذكر ابن بطوطة (١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٧٧)، ظاهرة الغلاء الشديد الذي أصاب بلاد الشام سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، بقوله: "وأقمت بدمشق الشام بقية العام والغلاء شديد، والخبز قد انتهى إلى قيمة سبع أواق (الأوقية أربعون درهماً - جزء من اثني عشر جزءاً من الرطل المصري)، بدرهم نقرة (القطعة المذابة من الذهب أو الفضة)، وأوقيتهم أربع أواق مغربية".

كذلك أشار ابن بطوطة (١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٧٨)، إلى "حكاية قتلى الخبز"، التي وقعت في سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، وذلك عندما "مات في تلك الأيام بعض كبراء دمشق، وأوصى بهال للمساكين فكان المتولي لإنفاذ الوصية يشتري الخبز ويفرقه عليهم كل يوم بعد العصر، فاجتمعوا في بعض الليالي وتزاحموا واختطفوا الخبز الذي يفرق عليهم، ومدوا أيديهم إلى خبز الخبازين، وبلغ ذلك

كان الغلاء من أكثر الظواهر الاقتصادية إضراراً بالعامة، فيقاسون الجوع والمرض؛ حيث ينتشر الوباء بين فئاتهم المختلفة، وغالباً ما كان الجفاف وتوقف نزول المطر هو السبب الرئيس لحدوث الغلاء (المقريزي، ج ١، ص ٨٠٧-٨١٠، ج ٣، ص ١٧٧؛ الحجبي، ١٩٩٤م، ص ١٨٥؛ البيلي، ١٩٨٦م). ويضطر الناس إلى صلاة الاستسقاء، كما كان عامل قصر مد النيل سبباً في ظاهرة الغلاء وكثرة الشح، وقلة الأوقات في البلاد، وهكذا نلاحظ شح بعض الأمراء ومنعهم دخول الجياع من الناس إلى بيوتهم وقت مد الأسمطة، حرصاً على توفير الطعام والاقتصاد في الصرف (المقريزي، ج ١، ص ٨١٤؛ ج ٢، ص ٢٥٠؛ ابن تغري، ١٩٥٦م، ج ٨، ص ١٥٧؛ ابن إياس، ١٨٩٦م، ج ١، ص ١٣٤). ولم يقتصر الأمر على ذلك، إذ انتشرت ظاهرة التزييف في النقد (المقريزي، ج ٢، ص ٢٠٥-٢٠٦؛ ابن تغري، ج ٤، ص ٧٧)، حيث يترتب عليها ارتفاع الأسعار، وإغلاق الأسواق، وصعوبة الحصول على الغذاء. كانت العامة عادة أكثر الناس تضرراً بظاهرة التزييف النقدي، خصوصاً التجار منهم، كذلك كان قدوم الجراد من الصحراء في الجزيرة العربية إلى الأقاليم الشامية عاملاً أساسياً في ارتفاع الأسعار، إذ يقضي الجراد على أغلب المحاصيل الزراعية، كما كانت الهجرات المتتالية من أهل الريف إلى المدن،

عن تدبير الشؤون الداخلية في البلاد؛ نتيجة المعاناة التي تقاسيها هذه الفئة من المجاعات، بسبب الغلاء الشديد للأطعمة والمواد الغذائية الضرورية مثل: الخبز والقمح والذرة والشعير، وعلى ذلك يمكن القول: إنَّ الغلاء كان من الأسباب الفعالة التي تهيج العامة ضد السلطة، الأمر الذي يوضح سوء الحالة الاقتصادية لهؤلاء الناس.

كما كان قبض الأمير على عدد من العامة ومعاقتهم جزاء على ما اقترفوه في حق الخبازين عبرة لغيرهم من عامة الناس فلا يجروا على التطاول على موظفي الدولة من كبار المسؤولين والموظفين، وقد أذى ظلم بعض الأمراء في تطبيق أحكام العقوبة على الكثير من العامة إلى جرأتهم على التجاهر بالعداء ضد الحكام والسلاطين، وكانت هذه بالفعل فرصة مناسبة للسوقة والخرافيش، للمبادرة إلى نهب غلال كل من عمل على تخزين المواد الغذائية وامتنع عن بيعها.

وقد وافق المقريري ابن بطوطة؛ ولكن بتفصيل أوسع في حدوث ظاهرة الغلاء في المدن الرئيسية بوجه خاص، ففي شعبان (١٣٤٧هـ/١٣٤٧م) "ارتفع سعر القمح من أربعين درهماً للأردب إلى خمسين وغلا اللحم وعامة الأصناف المأكولة حتى بلغت مثلي ثمنها، وتوقفت الأحوال، وقلَّت الغلال، وكذا السؤال من كثرة قدوم أهل النواحي إلى

الأمير أرغون شاه^(١) فأخرج زبانيته، فكانوا إذا ما لقوا أحداً من المساكين، قالوا له: تعال تأخذ الخبز، فاجتمع منهم عدد كثير، فحبسهم تلك الليلة، وركب من الغد، وأحضرهم تحت القلعة، وأمر بقطع أيديهم وأرجلهم، وكان أكثرهم براء من ذلك وأخرج طائفة الخرافيش^(٢) عن دمشق فانتقلوا إلى حمص وحماة وحلب، وذكر لي أنه لم يعيش بعد ذلك إلا قليلاً وقتل".

ولا شك أن هذه الحادثة تعبر عن صورة صادقة وطبيعية حول رد فعل العامة نحو السلطة المسؤولة

(١) أرغون شاه أو أرغون الكاملي نائب حلب، كان أحد مماليك الصالح إسماعيل رباه وهو صغير السن، فلما ولي الكامل حظي عنده وقدمه وأمره مائة.. ولكنه لم يلبث وقد شعر بالتأمر ضده أن فر إلى مصر؛ حيث تلقاه أهلها بالشموع.. وانتهى أمره إلى الامتحان فأقام بالقدس بطالاً، ومات في شوال (١٣٥٨هـ/١٣٥٧م). انظر: (ابن حجر، ١٩٦٦م، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٤؛ ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٧٨، هامش ٤٢).

(٢) الخرافيش: يقصد إلى طائفة من الناس تجتمع إلى زعيم يعدل بينهم فيما يحصلون عليه من أموال، ويهتمون بالفقراء ويهتم الأقوياء منهم بالضعفاء ورد ذكرهم لدى المؤرخين المصريين وفي ألف ليلة وليلة، وقد وجدنا ذكراً للملكهم عام ٧٩٢هـ/١٣٩٠م... وقد كتب عنهم الروائي نجيب محفوظ.

انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢١٤، هامش

ثلوج، ومناخه شديد الحر، ويفيض نهر النيل مرة في العام، فتغمر مياهه من الأراضي، ما مسيرته خمسة عشر يوماً..، أما إذا قلَّ فيضه فلا يكون للناس زرع في ذلك العام، ويصيب البلد قحط شديد على حد قوله.

كما يشير ابن بطوطة (١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٠٨)، إلى أن ابتداء زيادته في حزيران، فإذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعاً تم خراج السلطان، فإن زاد ذراعاً كان الخصب في العام، والصلاح التام، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعاً أضر بالضياع وأعقب الوباء، وإن نقص ذراعاً عن ستة عشر نقص خراج السلطان، وإن نقص ذراعين استسقى الناس وكان الضرر الشديد.

إذن كان نقص ماء النيل وعدم حدوث الفيضان سبباً فعالاً لارتفاع الأسعار؛ خصوصاً المنتجات الزراعية، إذ يترتب على ذلك قلة كمية المحاصيل الزراعية في حين استمرت نسبة الضرائب (المكوس) المقررة على الفلاحين ثابتة بصورة منتظمة، الوضع الذي يتضمن صورة واضحة من الجور الجبائي والحيف الاجتماعي الذي تعاني منه هذه الفئات من الناس (المقريزي، ١٩٧١م، ج ٢، ص ٨٣٢-٨٣٣، ج ٣، ص ٢١٨-٢١٩؛ ابن تغري، ١٩٥٦م، ج ١١، ص ١٢٩، ٦٥؛ ابن إياس، ١٨٩٦م، ج ١، ص ٢٢٩؛ الحجري، ١٩٩٤م، ص ٢٦٤، ٢٦٠).

القاهرة حتى ضاقت بهم فكانوا كذلك مدة سنة، مع كثرة المناسر في البلاد، وقوة المفسدين وقطاع الطرق بأرض مصر والقدس نابلس..". (المقريزي، ١٩٧١م، ج ٢، ص ٧٤٠).

ويشير المقريزي (١٩٧١م، ج ٢، ص ٧٥٨)، إلى إحدى ثورات العامة التي وقعت في محرم (١٣٤٨هـ/١٣٤٨م)، عندما "رجمت العامة المحتسب. وسببه أن السعر لما تحسن بلغ الخبز ستة أرتال (الرطل معيار للوزن يساوي ثنتا عشرة أوقية بأوقية العرب)، وسبعة أرتال بدرهم، فعمل الخباز خبزاً، ونادى عليه ثمانية أرتال بدرهم، فطلبه المحتسب وضربه، فثارت العامة به ورجموا بابه حتى ركب الوالي وضرب منهم جماعة".

إلى جانب ذلك كان عدم حدوث فيضان ماء النيل من الأسباب الرئيسة التي ترتب عليها ارتفاع سعر المواد الغذائية، فإذا توالى حدوث ذلك في سنوات متعاقبة تصبح الخسارة في كمية المحاصيل الزراعية جسيمة، وتزداد أسعار الأطعمة والأقوات بصورة فاحشة تهدد بوقوع كارثة اقتصادية وأزمة اجتماعية يعاني منها الناس بمختلف طبقاتهم (الحجبي، ١٩٩٤، ص ٢٠٧).

يذكر بنيامين (١٩٩٦م، ص ١٧٣-١٧٤). مدى خطورة انحسار مياه نهر النيل على مصر، فقد وجد البلد كثير الجفاف لا يزال فيه مطر ولا تتساقط فيه

٣- الطاعون الجارف^(١): (٧٤٩هـ - ١٣٤٨م)

نظراً لأهمية هذا الطاعون كحدث عالمي لفترة العصور الوسطى، فإنه لاقى عناية خاصة لدى كتاب الحقبة مقارنة بالأوبئة والطواعين الأخرى الواقعة في الفترة نفسها (مزدور، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م، ص ١٣٩-١٤٠)، فالمصادر العربية أطلقت على هذا الوباء العديد من التسميات أهمها: الطاعون الجارف، الطاعون الأعظم، الوباء العام، الوباء الأول، في حين أطلق عليه في أوروبا اسم "الطاعون الأسود" (LAPESTE NOIRE)، وكلمة PESTE كانت تطلق قديماً على الوباء (بولقطين، ٢٠٠٢م، ص ٥١). من الصعوبة بمكان تتبع الأوبئة والمجاعات كافة التي تعرضت لها البلاد في عصر المماليك، رغم تعدد المصادر والمؤلفات التي

تحدثت عنها^(٢)؛ لكن مما تجدر الإشارة إليه نظرة الرحالة المغاربة لقسوتها من ناحية، وما كانت تتعرض له البلاد والعباد بسببها من ناحية أخرى، مع العلم أن الذي عاصر هذه الأحداث من الرحالة المغاربة هو ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري/ ١٤م^(٣) وقد تطابقت رؤيته مع الكثير من المؤرخين المشاركة^(٤) في نقل صور هذه الظواهر، وما نجم عنها من آثار وخيمة على الناحية الديمغرافية، وعلى العمران والاقتصاد على حد سواء، الأمر الذي يثير روح الخوف والجزع عند المعاصرين، يذكر ابن بطوطة (ج ٤، ص ١٧٩، ١٩٩٧)، حكاية "الوباء المجتاح"، في أوائل شهر ربيع

(٢) راجع جدول الأوبئة والأمراض في القرن الرابع عشر. (إلياس نوا، ١٩٩٨م، ص ٣٧٧-٣٩٧).

(٣) لقد كانت رحلة ابن بطوطة هي الرحلة الوحيدة التي ذكرت هذا الطاعون كون ابن بطوطة قد عاصر هذا الحدث وفقد فيه ابنه وزوجته، وقد صادف أثناء عودته إلى المغرب هذا الوباء، الذي اكتسح العالم. اعتمد ابن الخطيب على ابن بطوطة، فكان ضمن مصادره، يقول ابن الخطيب عن خبر الطاعون: "حدث بذلك غير واحد ممن يوثق به من أولي الرحلة والجولان كالشيخ القاضي الحاج أبي عبدالله ابن بطوطة وغيره". انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٢٥، ٣٢٦؛ ابن الخطيب، ١٩٩٧م، ص ٦٧).

(٤) انظر: المقرئ، ١٩٧١م، ج ٢، ص ٧٧٠؛ ابن تغري، ١٩٥٦م، ج ١٠، ص ٢٠٤، ٢٠٥؛ ابن إياس، ١٨٩٦م، ج ١، ص ١٩١؛ الحجري، ١٩٩٤م، ص ٣٦١-٣٦٦).

(١) يعد هذا الطاعون من أعظم الأوبئة التي بليت بها البشرية فترة العصور الوسطى، إن عام (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، يعد في نظر أغلب الدراسات الحديثة تاريخ ولادة الطاعون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فترة العصور الوسطى، يذكر أن مصدر هذا الطاعون الصين ثم انتقل إلى الهند، وبلاد السند، وبلاد أزوبك، والقرم، والروم، ومن قبرص إلى مصر - أما زمن حدوثه فيذكر أنه ابتداء سنة (٧٣٤هـ / ١٣٣٤م). انظر: (ابن تغري، ١٩٥٦م، ج ١٠، ص ١٩٥-٢٣٣؛ ابن الخطيب، ١٩٩٧م، ص ٤٥؛ ابن خاتمة، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٧٣؛ البراز، العدد ١٦، ١٩٩١م، ص ١٠٩).

مدينة غزة، إذ يجد الوباء قد استشرى بها حتى أصبحت المدينة شبه خالية من كثرة من مات فيها بقوله: " ثم سرنا إلى غزة، فوجدتها معظمها خالياً من كثرة من مات بها في الوباء، وأخبرنا قاضيها أن العدول بها كانوا ثمانين، فبقي منهم الربع، وأن عدد الموتى بها انتهى إلى ألف ومائة في اليوم".

لم يكن هذا الوباء قاصراً على دولة المماليك في بلاد الشام فحسب؛ لأنه لم يكن له نظير في قسوته وسرعة انتشاره في ربوع البلاد والأقاليم، ففي البداية ابتداء الوباء في القاهرة ومصر بالنساء والأطفال ثم في الباعة ثم عموم الناس^(٢) واشتد الوباء حتى عجز الناس عن حصر الأموات، ومن ثم انتقل إلى أقاليم الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً،^(٣) وقد عرف ذلك الوباء في

الأول من سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، في الشام ومصر وانعكاسه على الحياة العامة، كما يقدم لنا إحصائية عن أعداد الأموات في كل مدينة على حدة، يقول ما نصه: " بلغني الخبر في حلب أن الوباء وقع بغزة، وأنه انتهى عدد الموتى فيها إلى زائد على الألف في يوم واحد فسافرت إلى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها، ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثمائة إنسان، ثم سافرت إلى دمشق ووصلتها يوم الخميس، فانتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربعمائة في اليوم، ثم سافرت إلى عجلون^(١) ثم إلى بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه". وقد استثنى ابن بطوطة (١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٨٠)، بعض علماء بيت المقدس ومشايخها من انتشار الوباء فيهم بقوله: " ووجدت من كنت أعهد من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى جوار الله تعالى رحمهم الله، فلم يبق منهم إلا القليل، مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كيلكدي العلائي، ومثل الصالح شرف الدين الخشي شيخ زاوية المسجد الأقصى". ثم ينتقل ابن بطوطة (١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٨٠)، من مدينة الخليل عليه السلام إلى

(٢) في مصر فإن بداياته كانت في خريف (٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م) "أخر أيام التخضير" ولزمه أربعة وخمسة أشهر كي ينتشر في مختلف أنحاءها، وهو الوقت الذي استغرقه للوصول إلى بلاد الشام. انظر: (المقريزي، ١٨٥٣م، ج ١، ص ٤٠١-٤١٣).

(٣) إن سرعة جائحة الطاعون كانت حوالي ثلاثة كيلومترات في اليوم، إذ استغرق انتقال الطاعون من القاهرة إلى غزة مدة أربعة أشهر، ثم ازدادت سرعة الطاعون على ما يبدو بمقدار ثلاثة أضعاف تقريباً وبلغت سرعته ٤, ٩ كلم في اليوم. انظر: (إلياس، ١٩٩٨م، ص ٣٨٠).

(١) تقع عجلون (ADJLOUN) في الشمال الغربي لجرش، وقلعتها التي تحمل قلعة الربض أسست سنة ٥٨٠-١١٨٤م من لدن أحد حكام السلطان صلاح الدين: عز الدين أسامة، وقيل إنه: كان في مكان القلعة دير قديم يسكنه نصراني اسمه عجلون. انظر: (ابن شداد، ١٩٦٢م، ص ٨٦-٨٧).

أوروبا باسم الطاعون الأسود.^(١) ويروي ابن بطوطة (١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٨١)، أنه كان يموت بالإسكندرية في اليوم الواحد بسبب ذلك الوباء ألف وثمانون، أما مدينة القاهرة فقد بلغ عدد الموتى أيام الوباء فيها إلى واحد وعشرين ألفاً في اليوم الواحد، ووجدت من كان بها من المشايخ الذين عرفتهم قد ماتوا. كذلك يحدثنا عن آثار هذا الوباء في قوافل الحجيج المصرية التي لم تسلم من سريان الداء فيها حينما كانت متوجهة إلى الأراضي المقدسة فيقول: " وجد قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، قد توجه إلى مكة في ركب عظيم يسمونه الرجبي، بسفرهم في شهر رجب وأخبرت أن الوباء لم يزل معهم حتى وصلوا إلى عقبة أيلة، فارتفع عنهم" (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٨١).

ومن تفحص هذه التفاصيل الخاصة بالوباء أو الطاعون الذي تعرضت له بلاد الشام ومصر في سنة

(٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، يمكن أن تستخلص بعض الملاحظات:

- حدوث وفيات على نطاق واسع نتيجة هذا الطاعون على الرغم من وجود عامل المبالغة والتهويل في الأعداد المدرجة ضمن النصوص التي يرويها ابن بطوطة ومؤرخو العصر المملوكي^(٢)، مع عدم التسليم بأن هذا الطاعون كان أكثر فتكاً وأسرع انتشاراً في وفاة الكثير من المعاصرين^(٣).

- الشلل الملاحظ في الحياة الاقتصادية في المجتمع الشامي والمصري في ظل حكم السلاطين المماليك مع توقف جميع مظاهر الأنشطة الاجتماعية المختلفة.

- شمولية هذا الوباء وسريانه في جميع الأقاليم والولايات والمدن والقرى التابعة للسلطة من دون استثناء.

(٢) انظر: المقرئزي، ١٩٧١م، ص ٧٧٢-٧٨٣؛ ابن إياس، ١٨٩٦م، ج ١، ص ١٩١-١٩٢؛ ابن تغري بردي، ١٩٥٦م، ج ١٥، ص ١٩٥-٢١٣؛ الحججي، ١٩٩٤م، ص ٣٦٧.

(٣) بقى هذا الطاعون في بلاد الشام من نيسان ٧٤٨هـ- ١٣٤٨م، حتى نيسان ٧٤٩هـ- ١٣٤٩م أي سنة كاملة كانت كافية للقضاء على ٢/٣ السكان تقريباً، فخلت أرض الشام من أكثرية سكانها. أما في مصر فيبدو أن حجم الضحايا أكثر هولاً " فكان يموت في القاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفاً نفس كل يوم". انظر: (ابن حبيب، ١٩٨٦م، ج ٣، ص ١١٠-١١١؛ ابن تغري بردي، ١٩٥٦م، ج ١٠، ص ١٩٥).

(١) يعدُّ هذا الطاعون من أشد الأوبئة التي فتكت بالإنسان منذ القرن السادس الميلادي، وهو من الأمراض المعدية التي تسببها البكتريا "البرسينيا الطاعونية". *Yersinia pestis* وهو حيواني المنشأ ينتقل إلى الإنسان عن طريق الحيوانات التي تعد مصدراً للعدوى. ومن الطبيعي أن ندرك أن أسباب الطاعون لم تكن معروفة في القرون الوسطى، وليس هناك ما يشير في تلك الفترة إلى وجود علاقة ما بين هذا الوباء والحيوانات. انظر: (فيليب، ١٩٩٢م، العدد ١٦١، ص ١٨١-١٨٤).

كذلك يحدثنا عن خبر ذلك الفقير الصائم الذي دخل عليهم بتلك الزاوية فأقام ليله ساجداً وقائماً طالباً كشف الوباء عنه، يقول: "وبيننا نحن بتلك الزاوية إذ دخل علينا أحد الفقراء فسلم، وعرضنا عليه الطعام فأبى وقال: إنما قصدت زيارتكم، ولم يزل ليلته تلك ساجداً وراكعاً، ثم صلينا الصباح واشتغلنا بالذكر، والفقير بركن الزاوية فجاء الشيخ بالطعام، ودعاه فلم يجبه، فمضى إليه فوجده ميتاً، فصلينا عليه ودفناه" (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٨١).

كما يذكر ابن بطوطة الوعاظ الذين نذروا في أيام الوباء إعداد الولايم إذا ما أذهب الله عنهم الداء وشفاهم، أو إذا لم يدعوا للصلاة على ميت في يوم، وذلك لنيل الأجر والثوبة، يقول: "وصنع الخطيب عز الدين يوماً دعوة ودعاني فيمن دعا إليها، فسألته عن سببها؟ فأخبرني أنه نذر أيام الوباء، أنه إن ارتفع ذلك، ومر عليه يوم لا يصلي فيه على ميت، صنع الدعوة! ثم قال لي: ولما كان بالأمس، لم أصل على ميت، فصنعت الدعوة التي نذرت!" (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ١٨٠).

يبدو أن الأوبئة قد خلقت مجتمعاً خائفاً من العدوى والأمراض، وجعلتهم بذلك ينيون إلى الله تعالى، ويتوبون إليه لإيمانهم بأن الأمراض مثلها مثل المجاعات، إنما هي عقاب إلهي، ولهذا كانت الجوامع والزوايا ونذور الأولياء ملاذاً لهم بطلب الاستشفاء بها.

- انعدام الوعي الصحي الضروري للحيلولة دون تفشي هذه الأمراض، وعدم بذل العناية اللازمة في الممارسات القائمة بتقديم العلاج الناجع والدواء المفيد، علاوة على إهمال الحكام للدعم المعنوي والمادي لتلك المراكز الاجتماعية كي تستمر في تقديم الخدمة اللازمة للمرضى الذين لديهم أمل في الشفاء.

- إقبال الناس على الدين كمنقذ من الهلاك والدمار، وذلك بإراقة الخمر والكف عن السيئات، وإقامة الشعائر الدينية والمحافظة عليها، والإكثار من الصدقات وأعمال الخير والإحسان إلى جانب الإقبال على تلاوة القرآن الكريم في المساجد والإكثار من الصيام. يذكر ابن بطوطة إقبال أهل دمشق على الصلاة والصيام رغبة في حلول الرحمة والنجدة لهم بقوله: "ثم سافرت إلى دمشق ووصلتها يوم الخميس، وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام، وخرجوا يوم الجمعة إلى جامع الأقدام..^(١) فخفف الله تعالى الوباء عنهم" (ابن بطوطة، ج ١، ص ٣٢٦، ١٩٩٧).

(١) مسجد الأقدام أو (القدم) بالإفراد كما عند النعمي الدمشقي يوجد جنوب دمشق- كما يقول الهروي الذي يضيف إلى هذا قوله: يذكر أن هناك قبر موسى بن عمران لكن هذا غير صحيح، وفي الحقيقة أنه لا يعرف قبر موسى وهذا المسجد يوجد الآن في قرية جنوب دمشق. انظر: (ابن بطوطة، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٣٢٥، هامش ٢٦٤؛ الهروي، ٢٠١٢م، ص ٩٣).

على نص الرحلة، فهناك بعض الإشارات التي ركز عليها والتي يمكن أن تفيد الباحث في موضوع ذكر النشاط الزلزالي وآثاره في مناطق المسلمين والصلبيين خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري (١٢م).

- قدّم الرحالة بنيامين في رحلته إشارتين مهمتين عن التأثير التدميري الذي أحدثته الزلازل في حماة (٥٥٢-١١٥٧م)، وقدّم تحديداً معيناً لعدد الذين قُتلوا من جرائه كما تناول ما أحدثته الزلازل في طرابلس في مرحلة لاحقة، وبمقارنة نص بنيامين مع النصوص المشرقية تبين لنا مدى مبالغته لتحديدته لأعداد القتلى من جراء الهزات الزلزالية على نحو خاص، إلا أنها تفيد من حيث إنها تُظهر لنا ظاهرة الخراب وتراجع المدن حينذاك.

- إن ابن بطوطة بالرغم مما دونه من ملاحظات مهمة حول بعض المستويات الاجتماعية، فإنه لم يلتفت إلى ما كان يجري في مصر والشام في ظل السيطرة المملوكية من تحولات اجتماعية وسياسية جارفة عصفت بالكثير من الثوابت الدينية والقواعد الأخلاقية، وهي التحولات التي أكّدت معظم المصادر التاريخية أنها كانت السبب فيما آلت إليه الأوضاع العامة في مصر والشام من اضطراب واختلال مست البنية الديمغرافية والاقتصادية والمجتمع على حدّ سواء.

كما أنّ الأوبئة التي تؤدّي بحياة الخاصة والعامة قد أدت الى حدوث تراجع كبير في الحياة العلمية من خلال موت العلماء بها، خصوصاً ذلك "الطاعون" الذي مثل كارثة إنسانية عمّت العالم بأسره، فحصدت الأرواح، ولم ينج منه إلا القليل، فالطاعون لم يكن حدثاً اختص بمنطقة دون غيرها، كغيره من الأحداث التي حدد المؤرخون من خلالها نهاية فترة العصور الوسطى، فهذا الطاعون كان حدثاً عالمياً عمّ عالم العصور الوسطى بأسره، ولهذا يستحق أن يكون مؤشراً على نهاية العصور الوسطى؛ لأنه "ذهب بأهل الجبل، وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحامها"، على حد تعبير ابن خلدون عن هذا الحدث.^(١)

خاتمة

من كل ما تقدّم يمكن استخلاص ما يلي:
- إنّ الصورة التي يرسمها الرحالة بنيامين في رحلته هذه الى المشرق ترتبط بالمرجعية الذهنية، وخلاصة اهتمامه التي تتلخص في محاولة التركيز على ذكر ووصف كل ماله علاقة باليهود واليهودية وهو القصد من الرحلة. وعلى الرغم من طغيان هذا العامل

(١) أتى الطاعون الجارف لسنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، على والديه، وقد خصص فقرات باكية في مقدمته لما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في المائة الثامنة بسبب هذا الطاعون الذي طوى كثيراً من محاسن العمران. انظر: (الطنجي، ٢٠٠٤م، ص ٦٤-٦٥).

قائمة المصادر والمراجع

- كانت ظاهرة غلاء الأسعار في الأسواق نتيجة حتمية للتزييف في النقد، حيث تضطرب حالة المعاملات التجارية بسبب تناقص الذهب في خزانة الدولة، فيكثر التهالك على شراء البضائع لا سيما المواد الغذائية الضرورية، الأمر الذي سبب ارتفاع الأسعار. ولوحظ ارتباط الوضع الاقتصادي في الأقاليم الشرقية المملوكية بعضها ببعض، فعندما يحدث غلاء في الشام يمتد تأثيره إلى مصر فترتفع الأسعار.
- لئن رسم لنا ابن بطوطة صورة قائمة عن الطاعون الجارف الذي كانت نتائجه على المنظومة الديمغرافية وخيمة، فإنَّ المشرق قد عرف بعد هذا الطاعون فراغاً سكانياً في المدن الكبرى، وحسبنا في ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن أعداد الموتى بمصر والشام في اليوم الواحد جراء هذا الوباء والذي قُدِّر بألوف، وعلاوة على هذا لم تكن مدن المشرق قد تجسدت فيها صورة الموت بسبب هذا الوباء آنذاك، وإنما القرى والأرياف فيه أيضاً تعرض أهلها للفناء نتيجة هذا الوباء.
- إذا قابلنا المعلومات في رحلتي ابن يونة وابن بطوطة مع المصادر الشرقية، نجد التطابق وعدم التناقض، على الرغم من قلة النصوص التي ذكرها الرحلان عن الأزمات والكوارث وآثارها؛ ولكنها معلومات مركزة وغنية تمكّن الدارس من معرفة الأوضاع العامة في هذه المدة التاريخية.
- القرآن الكريم.
- أ- الكتب العربية:
- ابن الأثير، عز الدين محمد الجزري. *الكامل في التاريخ*. تحقيق عبد لوهاب النجار. ط القاهرة: ١٩٢٩م.
- ابن الخطيب، لسان الدين. *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تحقيق محمد عنان، م ١١، ط. القاهرة: ١٩٧٤م.
- ابن الخطيب، لسان الدين. *مقنعة السائل عن المرض الهائل*. فرانكفورت: منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية، ١٩٩٧م.
- ابن الفرات، محمد بن عبدالرحيم. *تاريخ الدول والملوك*. تحقيق محمد حسن الشجاع، ط. البصرة: ١٩٧٦م.
- ابن الفرات، محمد بن عبد الرحيم. *تاريخ الدول والملوك*. تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين. بيروت: ١٩٣٩م.
- ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة. *ذيل تاريخ دمشق*. تحقيق أميد روز وسهيل زكار، ط. دمشق: ١٩٨٣م.
- ابن إياس، محمد بن أحمد. *بدائع الزهور في وقائع الدهور*. القاهرة: ١٨٩٦م.
- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي. *تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي. الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف. *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. ط القاهرة: ١٩٥٦م.

- ابن جبير، محمد الكناني البلنسي. تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (طبع باسم رحلة ابن جبير). بيروت - لبنان: دار الشرق العربي، د.ت.
- ابن حبيب، الحسن بن عمر. تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. تحقيق محمد أمين. مصر: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٦-١٩٨٦ م.
- ابن حجر، أحمد علي. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. القاهرة: ١٩٦٦ م.
- ابن خاتمة، أحمد بن علي. تحصيل غرض القاصد في تفضيل مرض الوافد، نشر ضمن كتاب: عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس. ط ١، بيروت: دار الغرب، ١٩٨٨ م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً (طبع باسم رحلة ابن خلدون)، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤ م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. تحقيق محمد الإسكندراني. بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦ م.
- ابن خلكان، أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٨ م.
- ابن شاعر الكنتبي، محمد بن أحمد. فوات الوفيات والذيل عليها. تحقيق محمد محيي الدين، ط. القاهرة: ١٩٥١ م.
- ابن قاضي شهبة، تقى الدين. الكواكب الدرية في السيرة النورية. تحقيق محمود زايد، ط. بيروت: ١٩٧١ م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨ م.
- ابن واصل، جمال الدين. مفرج الكروب في تاريخ بني أيوب. تحقيق جمال الدين الشيال. ط. القاهرة: ١٩٥٣ م.
- أبو شامة، شهاب الدين. الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق محمد حلمي. ط. القاهرة: ١٩٦٢ م.
- البزاز، محمد الأمين. "الطاعون الأسود بالمغرب في القرن ١٤". مجلة كلية الآداب، الرباط، العدد (١٦)، (١٩٩١ م).
- البنداري، الفتح بن علي. سنا البرق الشامي. تحقيق فتحية النبراوي. القاهرة: ١٩٧٩ م.
- البيلي، حمد بركات. الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر. القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٨٦ م.
- التطيلي، بنيامين بن يونة. رحلة ابن يونة إلى بلاد الشرق الإسلامي. ترجمها وعلّق على حواشيتها عزرا حداد، ط ١. بيروت: دار ابن زيدون، ١٩٩٦ م.

تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ١٩٣٩-
١٩٧١م.

المقريزي، أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
والآثار. القاهرة: ١٨٥٣م.

الهروي، أبي الحسن علي. الإشارات إلى معرفة
الزيارات. حققها وقدم لها نواف عبد العزيز
الجحمة، ط ١. الكويت: مكتبة ومركز فهد
الدبوس، ٢٠١٢م.

بو لقطيب، الحسين. جوائح وأوبئة مغرب عهد
الموحدين. الدار البيضاء: النجاح الجديدة،
منشورات الزمن، ٢٠٠٢م.

حدادي، أحمد. "أخبار الأوبئة والأمراض في
الرحلات السفارية المغربية". جامعة محمد
الأول. مجلة كنانيش، العدد (٣)، (٢٠٠١).

حمادة، ماهر. الوثائق السياسية والإدارية للعهود
الفاطمية والأتابكية والأيوبية. ط. بيروت:
١٩٨٤م.

شحلان، أحمد. رحلة بنيامين التيطلي. ندوة الرحلة بين
الشرق والغرب. الرباط: منشورات جامعة محمد
الخامس، ٢٠٠٣م.

عوض، محمد مؤنس. النشاط الزلزالي في بلاد الشام في
المرحلة من (٥٥١ - ٥٥٤ هـ)، (١١٥٦ -
١١٥٩)، وآثاره في مناطق المسلمين والصلبيين
كلية الآداب-عين شمس، القاهرة. مركز بحوث

الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد. الصحاح (تاج
اللغة وصحاح العربية). تحقيق أحمد عبد الغفور،
ط ٣. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

الحجبي، حياة ناصر. أحوال العامة في حكم المماليك
(٦٧٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٧٩ - ١٣٨٢). ط ٢.
الكويت: دار القلم للنشر، ١٩٩٤م.

الخضري بك، محمد. محاضرات تاريخ الأمم
الإسلامية. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

الشيذري، أسامة بن منقذ الكناي. كتاب الاعتبار.
حققه عبد الكريم الأشر، ط ١. أبو ظبي: دار
السويدي للنشر، ٢٠٠٩م.

الصلابي، علي محمد. نور الدين محمود زنكي شخصيته
وعصره. القاهرة: دار الأندلس الجديدة،
٢٠٠٨م.

الفيروز آبادي. القاموس المحيط. بيروت: دار العلم
للملايين، د.ت.

المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إبراهيم. عيون
الروضتين في أخبار الدولتين النورية
والصلاحية. ١٩٩١م.

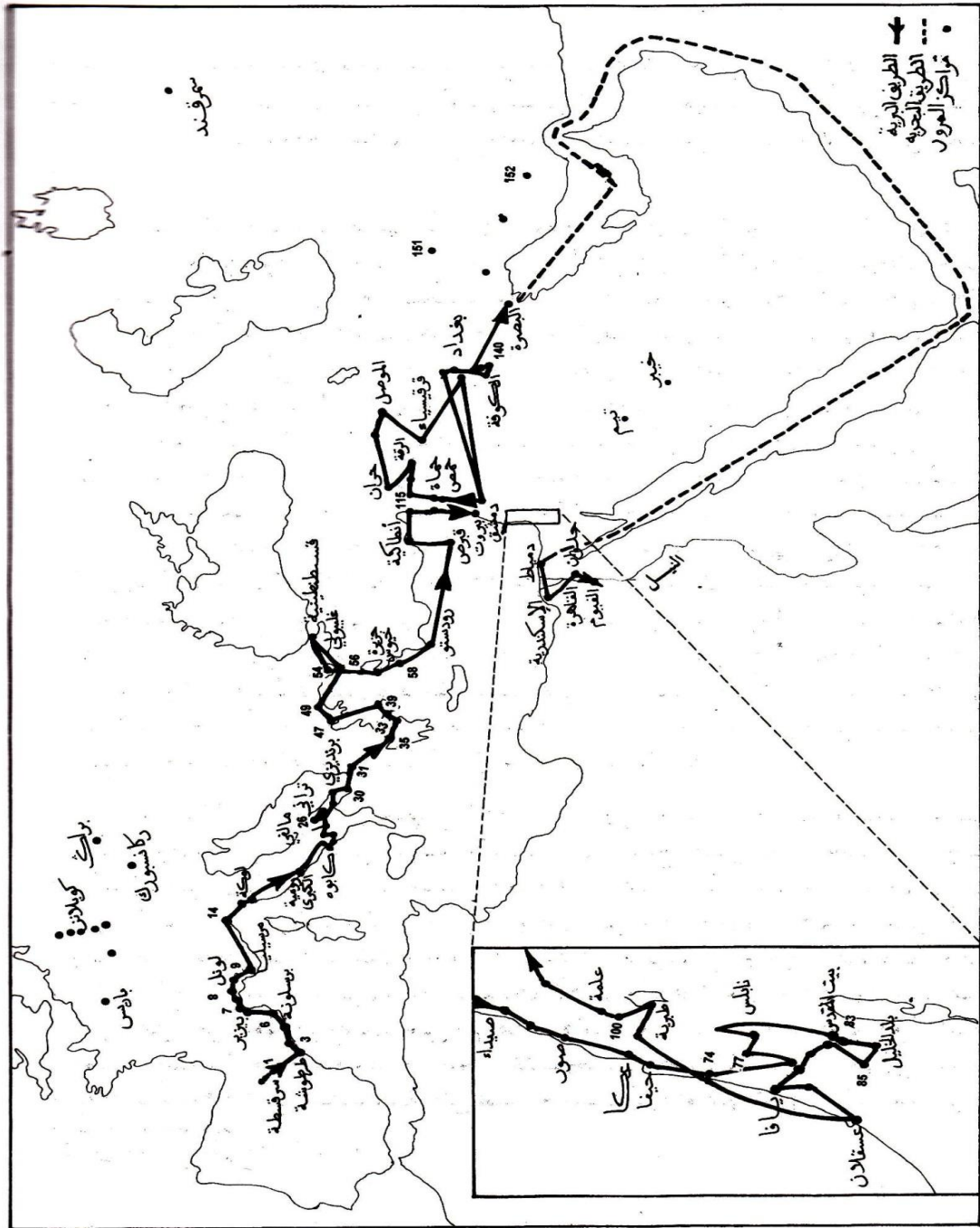
المقريزي، أحمد بن علي. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة
الفاطميين الخلفاء. تحقيق جمال الدين الشيال.
القاهرة: ١٩٦٧م.

المقريزي، أحمد بن علي. السلوك لمعرفة دول الملوك.
ج ١، ٢. تحقيق محمد مصطفى زيادة. ج ٤، ٣.

- الشرق الأوسط، سلسلة دراسات (١٤٠)،
(١٩٩٣م).
عوض، محمد مؤنس. مصادر تاريخ الزلازل في بلاد
الشام في النصف الثاني من القرن السادس
الهجري/الثاني عشر م (٥٥١-٥٩١هـ -
١١٥٦-١٢٠٢م)، كلية الآداب- عين شمس،
القاهرة. مركز بحوث الشرق الأوسط، سلسلة
دراسات عن الشرق الأوسط (١٢٠)،
(١٩٩٢م).
فادي إلياس نوا. المناخ والأسعار والأمراض في بلاد
الشام في عهد المماليك (٦٤٨-٩٢٢هـ / ١٢٥٠-
١٥١٦م). بيروت: ١٩٩٨م.
فيليب، عطية. أمراض الفقر في دول العالم الثالث.
سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (١٦١)،
(١٩٩٢م).
كراتشكوفسكي. تاريخ الأدب الجغرافي. ترجمة صلاح
الدين هاشم. القاهرة: ١٩٦٣م.
كنون، عبدالله. ذكريات ومشاهير رجال المغرب (ابن
بطوطة). منشورات المنظمة الإسلامية - ايسيكو
-١٩٩٦م.
مزدور سمية. المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط
(٥٨١هـ -٩٢٧هـ/١١٩٢م-١٥٢٠). جامعة
متتوري. كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
قسنطينة: ١٤٢٩-١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨-٢٠٠٩م.
مؤنس، حسين. نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق.
جدة: الدار السعودية للنشر، ١٤٠٨هـ/
١٩٨٧م.
ياقوت الحموي، شهاب الدين. معجم البلدان، ط.
بيروت، د.ت.
ب- الكتب الأجنبية:
GiBB. A.R Hamilton, *The travels of Ibn Battuta, the*
Hakluyt society, (1959) & Combridge, 1958.
Ruhricht(R.) *Ges shichte des Ken greiche Jerusalem,*
Innsbrucr (1889).P. 290, note.
William of Jyre, *A history of the deeds hone begond*
Thesea, vol.II, Trans.by Babcock and Krey, New York
(1943), p.370.

ملحق رقم (١)

نقلًا عن "الرحلة بين الشرق والغرب"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، الرباط، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٨.

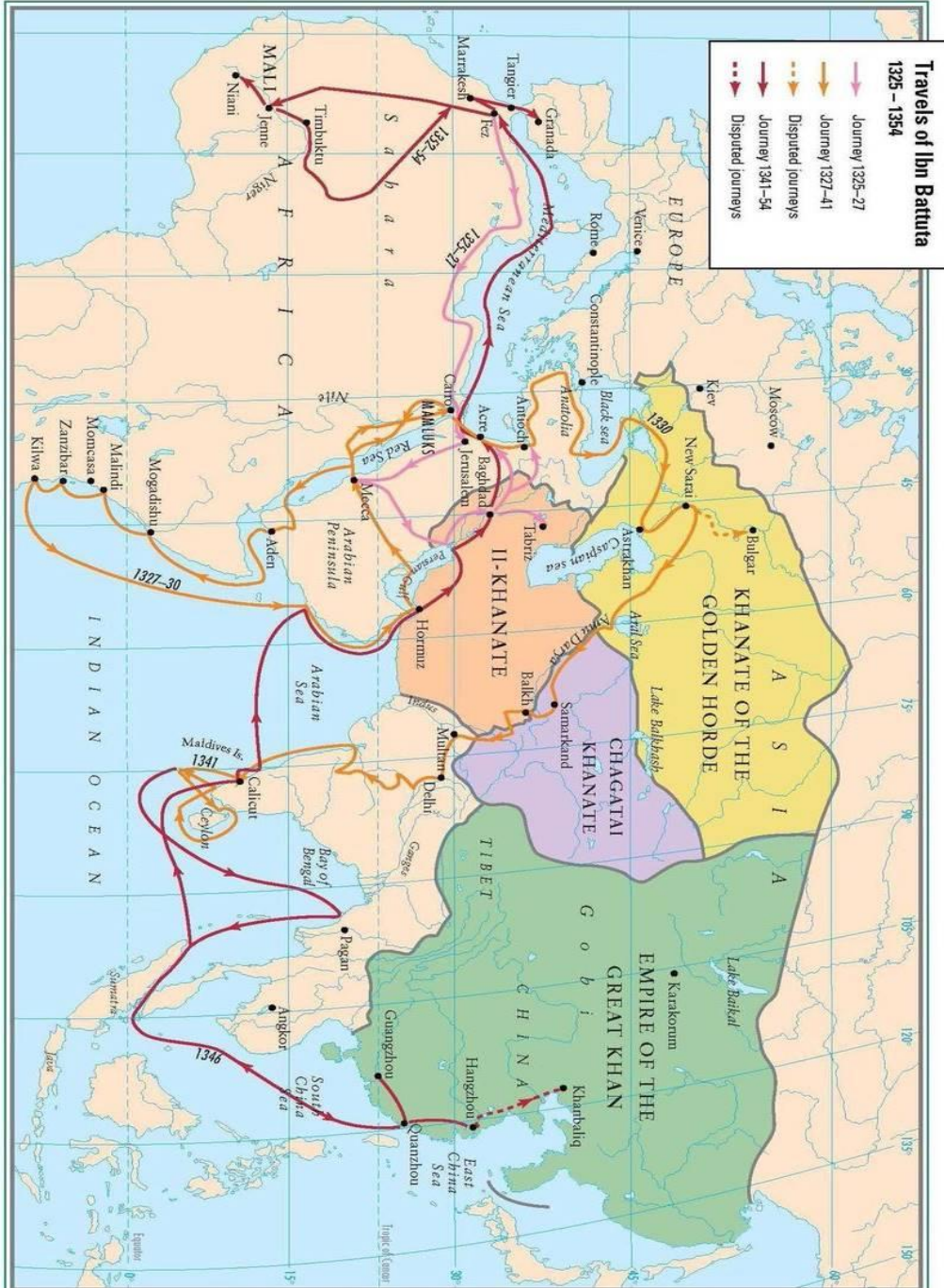


رحلة أيزامين التسطيلي

نواف عبد العزيز الجحمة: أثر الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية على الحياة العامة بالمشرق...

ملحق رقم (٢)

نقلًا عن <https://www.themaparchive.com/travels-of-ibn-battuta-132554.html>



رحلة ابن بطوطة